قضيَّة الإعجاز القرآنيِّ ودورها في نشأة البلاغة العربية

الطيب محمد عبد الكريم محمد

عوض السيد موسى عوض السيد

جامعة النيلين

مجلة كلية الدراسات العليا

الرقم الدولي الموحد: 1858-6228

المجلد: 16 ، 2021م
العدد: 01

كلية الدراسات العليا
جامعة النيلين

مجلة الدراسات العليا - جامعة النيلين
المجلد (16) –2021، العدد (1)
الرقم الدولي الموحد للدوريات: 1858-6228

Graduate College Journal – NU
Vol.16 -2021, No. (1)
ISSN: 1858-6228, http://www.neelain .edu.sd

قضيَّة الإعجاز القرآنيّ ودورها في نشأة البلاغة العربية

الطيب محمد عبد الكريم محمد
عوض السيد موسى عوض السيد
كلية الاداب -جامعة النيلين

المستخلص

تسلَّط الدِّراسة الضَّوء على "قضيَّة الإعجاز ودورها في نشأة البلاغة"، وهدفها الرُّجوع بالبلاغة إلى مصادرها الأولى وهي القرآن الكريم، وما دار حوله من دراسات في إعجازه وبلاغته ولغته، ولتحقيق هذا الهدف اتَّبع الباحث المنهج الوصفي والمنهج التاريخي؛ لتتبع البدايات الأولى للبلاغة في مؤلفات الإعجاز والدِّراسات القرآنيَّة – ووصفها وتحليلها، وتوصَّل الباحث لنتائج أهمها: إنَّ العلماء الَّذين تحدَّثوا في قضيَّة الإعجاز القرآنيَّ كان لهم دور عظيم في نشأة وتطوُّر فنون البلاغة المختلفة، ويوصي الباحث بدراسة كلَّ عالم من علماء الإعجاز دراسة منفردة؛ للتَّركيز على ما أضافه للبلاغة العربيَّة.

الكلمات المفتاحية: قضيَّة، الإعجاز القرآنيُّ، البلاغة، اللُّغة.

المحور الأول: الإطار المنهجي

المقدمة

الحمد لله الَّذي علَّم القرآن، خلق الإنسان علَّمة البيان، وهدى الأمَّة إلى الإيمان وأعان على تدبُّر أسرار كتابه، وإعجاز كلامه، وجمال صوره ودقَّة معانيه، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد أشرف الخلق؛ صلاة وسلام دائمين متلازمين إلى يوم الجمع والدِّين.

وبعد...

لقد جاءت هذه الورقة تحت عنوان (قضيَّة الإعجاز ونشأة البلاغة) وقد كان ميدان الدَّارسة المؤلفات الأولى في الإعجاز والدِّراسات الَّتي تتعلق بالقرآن الكريم، والسَّبب الأساس وراء اختيار هذا الموضوع بيان أهميَّة الدِّراسات القرآنية الأولى ودورها في نشأة البلاغة.

وتهدف هذه الورقة إلى الرُّجوع بالبلاغة إلى مصادرها الأولى وهي القرآن الكريم وما دار حوله من دراسات في إعجازه وبلاغته ولغته، وتكمن أهمية هذه الورقة في أنَّها تربط البلاغة بأصلها الأوَّل وهو بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم.

أمَّا المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي التَّحليلي المتمثل في تتبع البدايات الأولى للبلاغة في مؤلفات الإعجاز وأهم الدِّراسات القرآنية وعرض آراء العلماء في ذلك وتحليلها. ويجدر بنا أن نعرف أولاً: ما هو الإعجاز؟ وما هي البلاغة؟

أولاً: الإعجاز: في اللُّغة هو السَّبق والفوت، يقال أعجزني فلان أي فاتني، وأعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.(الأزهري، 2001م)

الإعجاز في الاصطلاح: هو عدم قدرة الكفَّار على معارضة القرآن وقصورهم في الإتيان بمثله رغم توفُّر ملكتهم البيانيَّة وقيام الدَّواعي على ذلك، واستمرار تحدِّيهم، وتقرير عجزهم عن ذلك. (الخالدي، 2001م)

ثانيًا: البلاغة: في اللُّغة بلغ الشيء يبلغ بلوغًا، وبلاغة وصل إليه وانتهى،البلاغة هي أحد علوم اللُّغة العربيَّة، وهي اسم مشتقٌّ من الفعل (بَلَغَ)، أي بمعنى وَصَلَ إلى النِّهاية، وقد سمِّيت البلاغة بهذا الاسم؛ لأنَّها تنهي المعنى إلى قلب المستمع ممَّا يؤدّي إلى فهمه بسهولة، وتعرف البلاغة لغة بأنَّها الوصول والانتهاء إلى الشَّيء، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف، 22)، أي بمعنى وصل..(ابن منظور، 1990م)

وفي الاصطلاح: إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللَّفظ. (أبو علي، 2000م

قضيَّة الإعجاز القرآني ودورها في ونشأة البلاغة العربية

نزل القرآن الكريم لغرضين أساسيَّين: كونه معجزة هذا الدِّين الجديد ودلالة صدق نبوَّة سيِّدنا محمد – صلَّى الله عليه وسلَّم – وكونه كتاب هداية النَّاس جميعًا لما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم. وكان الذَّوق الأدبيُّ السَّليم والطَّبع العربيُّ الأصيل يقومان بتحقيق هذين الغرضين، ولكن عندما توسَّعت الدَّولة الإسلاميَّة وزادت رقعتها وكثر الدَّاخلون فيها واحتكَّ المسلمون بغيرهم من الأجناس وبعدوا عن موطن اللُّغة الأصليّ، احتاج القوم إلى شيء من التَّسجيل والتَّوضيح وتبيان أسرار القرآن الكريم، زيادة على ذلك أصبحت الحاجة ملحَّة إلى تسجيل هذه الظَّاهرة، لصدِّ هجوم المشككين في الرِّسالة وقيمتها.(عرفة،1985م)

ومن أجل ذلك كان لابدَّ من متابعة دلائل الإعجاز في هذه المعجزة الخالدة في كلِّ زمان ومكان للَّذين يتصلون بهذا الدِّين وتتصل بهم أسبابه، ولا يمكن ذلك إلا بالمحافظة على الذَّوق العربيّ الأصيل ليتمكن من فهم القرآن وتذُّوق عناصر الجمال فيه، وبذلك تظل قضيَّة الإعجاز تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.(عرفة،1985م)من أجل ذلك قام علماءٌ أجلاء بجهود محمودة تجاه القرآن الكريم ولغته، ففسروا تراكيبه ودرسوا أسلوب بيانه ووضحوا مجمله، وقاموا بوضع علم النَّحو واللُّغة لحمايته.(عرفة،1985م)

يقول ابن خلدون: "فلمَّا جاء الإسلام فارق العرب الحجاز لطلب الملك الَّذي كان في أيدي الأمم والدُّول وخالطهم العجم فتغيَّرت تلك الملكة ... وخشي أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسًا ويطول العهد، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا، مكن مجاري كلامهم قوانين

لتلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام.(ابن خلدون، د. ت)

فواضح من كلام ابن خلدون أن السَّبب في وضع علم النَّحو واللُّغة ظهور الفساد في اللُّغة، وأيضًا الغرض من وضعها هو إبعاد الخطر عن نصوص القرآن والسُّنة النَّبويَّة باعتبارهما أصل الدّين.

واحتاج النُّحاة واللُّغويون في وضعهم للقواعد، إلى الشَّاهد العربيَّ الخالص من الشَّعر والنَّثر، فهمَّوا إلى جمع اللُّغة والشِّعر وخرجوا إلى البادية، واحتاج المفسَّرون إلى اللُّغة والشِّعر لشرح غريب القرآن الكريم، وفهم تراكيبه، ودراسة أسلوبه ومقارنته بالشِّعر ليظهر لهم علوُّ أسلوبه، وشجَّع جمع اللُّغة والشَّعر العلماء على التَّأليف حول القرآن تفسيرًا وبيانًا لمعانيه، ومجازه، وشرح غريبه، ودراسة قراءاته ونزوله وناسخه ومنسوخه.(عرفة،1985م)

إذن يخرج الباحث مما سبق بأنَّ الباحثين الَّذين بحثوا في القرن الثَّالث الهجريّ في علوم اللُّغة كان هدفهم خدمة القرآن الكريم حفظًا وفهمًا، ودراسةً وتفسيرًا.

أمَّا عن أسباب اتَّجاه العلماء نحو دراسة الإعجاز القرآنيَّ وتعليله لغويًا وعلميًا فكان نتيجة لفقدان الملكة اللُّغويَّة الفطريَّة الَّتي كانت عند العرب زمن نزول القرآن.

وكان أبرز هذه الدِّراسات وأهمها لموضوعنا دّراسة أبي عبيدة معمَّر بن المثنى المتوفى سنة 210هـ، ودراسة أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة 297هـ (عرفة،1985م)

أولًا: أبو عبيدة معمَّر بن المثني "مجاز القرآن":

"أبو عبيدة النَّحويُّ مولى تيم بن مرَّة يقول عنه الجاحظ: "لم يكن في الأرض خارجيٌّ ولا جماعيٌّ أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة".(عباس، 2008)

ويعدَّ كتابه مجاز القرآن أوَّل كتاب تولَّى مهمَّة الحديث عن مجاز القرآن بغرض الدِّفاع عنه، ونفي ما أثاره الطَّاعنون من أكاذيب وأباطيل، وقد حكى سبب تأليف للكتاب فقال:

"أرسل إلي الفضل بن الرَّبيع فقدمت إلى البصرة في الخروج إليه سنة 188هـ، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي، ودخلت وهو في مجلس له طويل عريض في بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقى إليها إلا على كرسي وهو جالس عليها... ثمَّ دخل رجل في زي الكُتَّاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي، وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة. أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقربه لفعله هذا. قال لي: إنِّي كنت إليك مشتاقًا وقد سألتُ عن مسألة؛ أفتأذن لي أن أعرفك إيَّاها؟... قلت: هات. قال: قال الله تعالى:؟ ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾.(الصافات، 65)وإنَّما يقع الوعد والإيعاد بما قد عُرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت: إنما كلَّم الله العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ(إبراهيم، 1997م)

وهم لم يروا الغول قط، ولكنَّه لمَّا كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن لمثل هذا وأشباهه، ولما يحتاج إليه من علم. فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الَّذي سميته (المجاز) (عرفة،1985م).

هذه الفقرة توضِّح مدى رسوخ قدم أبو عبيده في مضمار العلم وتحديدًا ما يتعلَّق بعلوم العربيَّة وعلوم القرآن كما توضِّح لنا سبب تأليف كتابه مجاز القرآن.

الَّذي يقرأ مجاز القرآن يحسُّ أنَّه بين أنَّ الله إنَّما كلَّم العرب على قدر كلامهم، ويرى أنَّ في القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، والغريب، والمعاني، ونجده في مطلع الكتاب يثير قضيَّة كانت دائرة في زمنه وهي قضيَّة الأعجمي في القرآن الكريم حيث يقول: في ذلك: "إنَّما نزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن"طه" بالنّبطية فقد أكبر القول وإن لم يعلم ما هو، فهو افتتاح كلام وهو اسم للسُّور وشعار لها".(ابن المثنى، 1954)

ويمكن القول أنَّ أبا عبيدة قصد من جهده الَّذي بذله الدَّفاع عن حقيقة الإعجاز، وأيضًا كان يقصد بيان وجه إعجاز القرآن بدراسته المقارنة بين القرآن الكريم والشَّعر وإن كان لم يوضح تفوق التَّعبير القرآنيّ فلعلَّ الذَّوق الأدبيَّ في عصر لم يكن يحتاج أكثر من ذلك.(عرفة،1985م)

وكان أبو عبيدة في كتابه مطبقًا لنظريَّة ابن عباس الَّتي تقول: "إِذَا سَأَلْتُمُونِي عَنْ شيء في غَرِيبِ الْقُرْآنِ فَالْتَمِسُوهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ الْعَرَبِ".(عمار،1997)

وظاهر كتاب أبي عبيدة يوهم أنَّه صنَّفه في المجاز بالمعني البلاغيّ والاصطلاحيّ، وحقيقة الأمر أنَّ كلمة مجاز عنده تعني الدِّلالة الدَّقيقة لصيغ القرآن المختلفة، أو بعبارة أخرى يعنى به تفسير وتأويل الآيات، ويتضح هذا المعنى منذ السُّطور الأولى في كتابه، فقد جاء في فاتحته: "قال الله جلَّ ثناءه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾(القيامة، 17) مجازه تأليف بعضه إلى بعض، قال قال: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة، 18) مجازه فإذا ألفنا شيئًا فضممناه إليك فخذ به وأعمل به وضمه إليك:، ويلاحظ أنَّه اختار الآيات الَّتي تصوِّر طرق مختلفة في الصِّياغة والدَّلالة متمثلًا بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم.(ابن المثني،د. ت)

وأداه اختياره بعض الآيات أن يتحدَّث عما في الآيات من استعارة تشبيه وكناية وتقديم وتأخير وتكرار وإضمار، وتوسع في تصوير الخصائص التعبيريَّة كالدِّلالة بلفظ الخصوص على العموم وبلفظ العموم على معنى الخصوص، وكمخاطبة الواحد مخاطبة الجمع ومخاطبة الجمع مخاطبة

الواحد، وتنتَّه في ثنايا ذلك إلى الصُّور العامَّة للالتفات وإن لم يقترح له اسم اصطلاحي.(ضيف، 2002)

وأبو عبيدة كان يوضح لفظًا أو تركيباً إعرابيًا أو أسلوبًا بيانيًا من القرآن الكريم بالشَّعر العربي وكلام العرب ومخارجها في الكلام؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب ومتحدًّيًا لهم ومن جنس كلامهم، ولا يمكن فهم القرآن ولا معرفة وجه إعجازه واستخراج دقائق تشريعاته إلا بدراسة اللُّغة العربيَّة وآدابها.(ضيف، 2002)

وكان أبو عبيدة قد أتَّخذ "القرآن الكريم" مركزًا لدَّراسته، في كتابه "مجاز القرآن" معتمدًا في هذه الدَّراسة على فقهه باللُّغة العربيَّة وأساليبها واستعمالاتها والنُّفاذ إلى خصائص التّعبير فيها، وكانت محاولة أبو عبيدة ناجحة إذ تمكَّن من الكشف عن بعض المسائل البلاغيَّة، وتعد مهمة في تكوين البلاغة العربيَّة لأنَّها تمثَّل الطَّور الأوَّل في نشأتها(عطية، 1949م).

بناء على ما سبق يرى الباحث أنَ كتاب أبو عبيدة من الشَّذرات الأولى لظهور البلاغة العربيَّة كعلم وفن له أصوله، وكذلك يعتبر كتابه من بدايات الدَّراسات الَّتي دارت حول القرآن الكريم وحول توضيح أساليبه.

ثانيًا: الفرَّاء "معاني القرآن":

"هو أبو زكريا بن زياد بن عبد الله المعروف بالفراء، كان أبا الكوفيين وأعلمهم بالنَّحو واللُّغة وفنون الأدب"(عرفة،1985م).

وهو من أبرز الشَّخصيات الَّتي ابتدرت الحديث حول القرآن ومعانيه فأسهم بذلك في الحفاظ على الذَّوق الأدبيَّ ليظلَّ القرآن مفهومًا، وله في ذلك كتاب معاني القرآن(عباس، 2008).

"والَّذي يمعن النَّظر في كتاب معاني القرآن يجده يعالج المشاكل الَّتي عالجها أبو عبيدة تقريبًا غير أنَّ ثقافة الفراء النَّحويَّة ظهرت في كتابه بشكل واضح، فهو يسير على نهج أبوعبيدة فيشرح بعض الألفاظ والآيات القرآنيَّة وبعض الأساليب البيانيَّة، والتَّراكيب الإعرابيَّة، يردُّ كلَّ هذا إلى مذاهب العرب في كلامها، ومن المسائل الَّتي عالجها الفرَّاء: الإيجاز والتَّقديم والتَّأخير، والأطناب، والاستفهام والالتفات والمجاز العقليُّ والتَّشبيه، والاستعارة، والكناية والمشاكلة والفواصل القرآنيَّة(عرفة،1985م).

وهذه هي الألوان الَّتي أشار إليها الفراء والَّتي دفعتها قضيَّة الإعجاز دفعًا وكان الغرض منها فهم القرآن الكريم عن طريق تربية الذَّوق الأدبيّ. وقد ظهر في كتاب معاني القرآن أصوات المنكرين للأسلوب البيانيَّ في القرآن والَّتي ألمح لها الفراء بقوله: "فإن قال قائل" وتارة بقوله: "وربَّما أنكر هذا من لا يعرف العربيَّة، وقد علت فيما بعد هذه الأصوات وتعرض لها الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز(ابن قتيبة، د. ت)

هذا وقد نشأ في صدر الدولة العباسية إبان ذهو اللغة وعزها ما يسمى بالحجاج والذي كان موضوعه وجوه إعجاز القرآن، وقد كانت لكل فرقة من الفرق الكلاميَّة رأيه ومذهبه في ذلك، وأدى هذا الحجاج إلى بروز قضية الإعجاز وبالتالي نشأة فنون البلاغة.

ويخرج الباحث من ذلك بأنَّ الفرَّاء من أوائل العلماء الَّذين بدؤوا الحديث عن القرآن الكريم وبيان معاينه أساليبه، ومن الأساليب الَّي تحدَّث عنها الإيجاز والإطناب والتَّقديم والتَّأخير والاستفهام والتَّشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الأساليب البلاغيَّة.

ثالثًا: ابن قتيبة "تأويل مشكل القرآن"

"هو محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدَّينوريُّ النَّحويُّ اللُّغويُّ، وتصانيفه كلُّها تكاد تكون دفاعًا عن النَّظم القرآنيَّ ومذهب أهل السُّنة، وبادر في صدر كتابه "تأويل مشكل القرآن" إلى بيان وجه الإعجاز القرانيِّ، فيقرر أنَّه معجز بتأليفه البديع ونظمه العجيب. ويرى ابن قتيبة: أنَّه يمكن إدراك سرَّ إعجاز القرآن وتفوقه على سائر النُّظوم، وذلك يكون بالذَّوق الأدبيَّ القائم على التَّربية الأدبيَّة السَّليمة والَّتي عمادها فهم اللُّغة العربيَّة وآدابها"(عرفة،1985م)

وقد توصل ابن قتيبة من خلال كتابه إلى عدة نتائج:

1. إنَّ الله جعل معجزه محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - القرآن الكريم، كما جعل علم كلَّ نبيٍّ مما برع فيه أهل زمانه فكان لموسى اليد والعصا لأنَّ قومه برعوا في السَّحر. وكانت معجزة عيسى إحياء الموتى وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص لأنَّ زمانه زمن الطب، وكان كتاب محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم -. الَّذي لو اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله لن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا: وذلك لما يتميَّز به من البلاغة والفصاحة؛ لأنَّ العرب كانوا أهل بلاغة وفصاحة(عرفة،1985م).
2. إنَّ القرآن الكريم نزل بكل مذهب العرب في كلامها، ولذلك لا يقدر أحد من التَّراجم أن ينقله إلى شيء من الألسنة، إذن هو يرى أنَّ نقل القرآن إلى لغُة أخرى تفسير وليس قرآن لأنَّ النقل حينئذ يكون للمعنى دون اللَّفظ(ابن قتيبة، د. ت).
3. إنَّ المعاصرين لنزول القرآن كانوا يدركون إعجازه بطبعهم العربيَّ السَّليم وبذوقهم الأدبيَّ الأصيل. أمَّا عصر ابن قتيبة فقد كسدت فيه سوق العلم يقول: "فالعلماء مغمورون، وبكثرة الجهل مقموعون... فأبعد غايات كتابنا في كتابته أن يكون حسن الحظَّ قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشَّعر أبياتًا في مدح قينة أو وصف كأس، وارفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئًا من تقويم الكواكب. وينظر في شيء من الفضاء وحدُّ المنطق، ثمَّ يعترض على كتاب الله بالطَّعن وهو لا يعرف معناه(عرفة،1985م).
4. ثمَّ عقد مقارنة بين طعن المعاصرين له في القرآن الكريم وبين طعن المعاصرين لنزول القرآن يقول: "وقد اعترض كتاب الله بالطَّعن ملحدون ولغو فيه، وابتغوا" ما تَشَابهَ منْه أبْتغَاء الفتنة وابْتغَاء

تَأويْله" بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه، عدَّلوه عن سبله، ثمَّ قضوا عليه بالتَّناقض والاستحالة في اللَّحن، وفساد النَّظم، والاختلاف...(ابن قتيبة، د. ت)"

5. ثمَّ ذكر مطاعن الطَّاعنين وهي تتلخص في: طعنهم في اختلاف القراءات، وادعائهم وجود زيادة في كتاب الله ووجود اللَّحن والخطأ، وكذلك التَّناقض، وقد ردَّ عليهم ابن قتيبة وذكر الحجة عليهم وتمخَّض عن رده مسائل بلاغيَّة.(عامر، 1975)

وقد تحدَّث ابن قتيبة عن المجاز وتوسع في معناه فأطلقه على جميع فنون الكلام يقول: "للعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها: الاستعارة والتَّمثيل والقلب، والتَّقديم والتَّأخير، والحذف والتِّكرار، والإخفاء والإظهار، والتَّعريض، والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع والجمع مخاطبة الواحد".(الخطَّابيَّ، وآخرون، 2012)

هذه جهود ابن قتيبة البلاغية وهي بحوث قيِّمة لها الأثر العظيم في بناء صرح البلاغة العربيَّة، وأيضًا تمثل فاتحة الدِّراسات الَّتي تحدَّثت عن القرآن الكريم ودافعت عن إعجازه وردت مطاعن الطاعنين وكيد الكائدين.

رابعًا: الرُّمَّانيُّ: النُّكت في إعجاز القرآن

رسالة النُّكت في إعجاز القرآن الكريم قصيرة إلَّا أنَّها جمعت كثيرًا من ألوان الجمال في تعبير القرآن وحسن تأليفه، وإحكام نظمه وكشفت عن روعة الأداء، والتَّناسق فيما بين لفظه ومعناه وتعمَّقت في مخاطبة القرآن للغرائز والشُّعور، وتصويره لخلجات النَّفس الإنسانيَّة، فقد كانت دراسة فنيَّة عميقة تتعلق بإعجاز الأسلوب القرآنيَّ وبالبلاغة كفن من فنون القول.(عامر،1975م)

ذكر الرُّمَّانيُّ البلاغة كوجه من وجوه البلاغة. وذكر طبقات البلاغة في أقسامها، فذكر أن البلاغة ثلاث طبقات منها ما هو أعلى طبقة، ومنها ما هو أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة والأدنى، فما كان أعلى طبقة فهو (معجز) وهو بلاغة القرآن، وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من النَّاس.(الرُّمَّانيُّ، وآخرون، 2012)

ثمَّ يتعرَّض لتعريف البلاغة بأنَّها: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللَّفظ" ويرفض تعريفها بأنَّها إفهام المعنى، لأنَّه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والأخر عيٌّ. وليست البلاغة أيضًا بتحقيق اللَّفظ على المعنى وهو عن مستكره وناقد متكلف.(عرفة،1985م)

وقد قسم البلاغة إلى عشرة أقسام الإيجاز والتَّشبيه، والاستعارة، والتَّلاؤم والفواصل، والجناس، والتَّصريف، والتَّضمين، والمبالغة، وحسن البيان ثمَّ فسَّر هذه الأبواب بابًا، بابًا.(الرُّمَّانيُّ، وآخرون، 2012)

فبدأ بالإيجاز وهو عنده إيجاز حذف وإيجاز قصر فإيجاز الحذف يكون بإسقاط كلمة أو أكثر وإيجاز القصر هو بنية الكلام على تقليل اللَّفظ وتكثير المعنى من غير حذف، وساق الأمثلة لكلَّ نوع منها ثمَّ وضح القيمة البلاغيَّة لكلٍّ.(ضيف، 2002م)

ثمَّ تحدَّث عن الأطناب وعدَّة من البلاغة، ذكر أنَّه: "يكون في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع الَّتي يحسن فيها ذكر التَّفصيل، فإن لكل واحد من الإيجاز والأطناب معنى يكون به أولى من الأخر؛ لأنَّ الحاجة إليه أشدُّ، والاهتمام به أعظم، فأمَّا التَّطويل فعيب وعيٌّ لأنَّه تكلف فيه الكثير فيما يكفي القليل، وأمَّا الأطناب فليس كذلك..."(سلطان، د. ت)

ثمَّ أنتقل إلى التَّشبيه وقسمه إلى حسيَّ وعقليَّ، ويرى أنَّ أعلى التَّشبيه العقلي ومثل له بوجوه، منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه كتشبيه أعمال الكفار بالسَّراب، ومنها إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة كتشبيه ارتفاع الجبل بارتفاع الظُّلة، ومنها إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة كقوله تعالى: (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)(آل عمران، 133)ومنها إخراج ما لا قوَّة له في الصِّفة إلى ما له قوَّة فيها كقوله تعالى:(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)(سورة الرحمن، 14)

ثمَّ تحدَّث عن الاستعارة وقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللُّغة على جهة النَّقل والإبانة وفرَّق بينها وبين التَّشبيه، بأنَّ الكلمات في التَّشبيه تظل لها معانيها الحقيقية، ويعرض أمثلة مختلفة لاستعارة لصور فضلها على الحقيقة وأنَّها أبلغ في البيان. وانتقل إلى التَّلأؤم، ويريد به حسن النَّظم والصِّياغة، ويقسم الكلام إلى ثلاث طبقات: متنافر يستثقله اللِّسان، ومتلائم في الطَّبقة الوسطى وتدخل فيه بلاغة البلغاء، ومتلائم في الطَّبقة العليا، وهو أسلوب القرآن الَّذي تصغي لروعته الآذان والأفئدة.(سلطان، د. ت)

وتحدَّث عن فواصل الذِّكر الحكيم، فقال إنَّها" حروف متشابكة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى، وفرق بين فواصل القرآن والأسجاع فيرى أنَّ الفواصل بلاغة والأسجاع عيب، وذلك لأنَّ الفواصل تابعة للمعاني وأمَّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها.(الرُّمَّانيُّ، وآخرون، 2012)

وترك الفواصل إلى التَّجانس، فقال: "تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الَّذي يجمعه أصل واحد في اللُّغة" وجعله نوعين مزاوجة ومناسبة، فالمزاوجة مثل ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(الأنفال، 30)إذ استخدام المكر مع الله بدلاً من الجزاء. وسماه البلاغيُّون بعده مشاكلة، أما المناسبة فتدور في المعاني التي ترجع إلى أصل واحد مثل (أنْصَرفوا صَرَفَ الله قُلُوبَهُمْ) إذ زواج بين الانصراف من الذّكر وصرف القلب عن الخير والأصل فيه هو الذَّهاب عن الشَّيء، أما هم فذهبوا عن الّذكر، وأمَّا قلوبهم فذهب عنها الخير".(سلطان، د. ت)

ثمَّ أنتقل بعد ذلك إلى باب أسماه التَّصريف وهو تصريف المعنى في المعاني المختلفة، ويقصد به تصريف الكلمات بصيغ مختلفة تلتقي جميعًا في معنى عام واحد.كتصريف معنى الإعراض والاعتراض والاستعراض،

والتَّعرض والتّعريض يرى أنَّها جميعها منعقدة بمعنى الظّهور، وهذا على نحو ما يلقانا في القصص القرآنية، قصَّة موسى ذكرت في سورة الأعراف في طه وفي الشُّعراء وغيرها لوجوه من الحكمة منها التَّصرف في البلاغة من غير نقصان من أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والعظة.(الرُّمَّانيُّ، وآخرون، 2012)

وينتقل إلى التَّضمين ويريد به حصول معنى الكلام من غير ذكره وهو على وجهين- مايدلُّ عليه الكلام دلالة إخبار، لأنَّه يحمله عليه في ظاهر لفظه كدلالة كلمة مكسور على كاسر، والوجه الثّاني ما يدلُّ عليه الكلام دلالة قياس كدلالة البسملة على تعظيم الله سبحانه وتعالى.(سلطان، د. ت)

ويتحدَّث عن المبالغة ويقول إنَّها على وجوه منها مبالغة عن طريقة البنية مثل غفَّار وتوَّاب، ومبالغة بالتَّعميم مثل (اجتمع النَّاس) وقد اجتمعت طائفة منهم، ومنها مبالغة بشيء عمَّا يصحبه كقول تعالى:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(الفجر، 22) فجعل مجئ آياته مجيئًا له. ومنها مبالغة إخراج التَّعبير محرج الشَّك كقوله:﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سبأ، 24) ومنها مبالغة حذف جواب الشَّرط "﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾(الأنعام، 27). أي لرأيت هولًا عظيمًا، وواضح أنَّه لم يدرس المبالغة بمعناها العام وإنَّما درسها في صورها القرآنيَّة.(ضيف، 2002م)

ويختتم الرُّمَّانيُّ كلامه في البلاغة بقسمها العاشر، الَّذي سماه (البيان) وهو عندَه الإحضار لما يظهر به تمييز الشَّيء من غيره في الإدراك، وكأنَّه يلتقي عندَه بالدلالة، ويقول إنَّه على أربعة أقسام، كلام، وحال، وإشارة، وعلامة، قسم الرُّمَّانيُّ الكلام إلى قبيح وحسن، والقرآن كلُّه في نهاية الحسن..(عامر،1975م)

وإذا قارنَّا بين هذه الوجوه العشرة للبلاغة منها ما اندرج في علم المعاني، ويندرج التَّشبيه والاستعارة في علم البيان. أما التَّلاؤم فهو مسألة أسلوبيَّة لا تندرج في علوم البلاغة الثَّلاثة، ومثله فواصل الذِّكر الحكيم هذا باعتبار أنَّها تختلف عن السَّجع، واندرج في الجناس قسم سماه الرُّمَّانيُّ مزاوجة وسمي في علم البديع بالمشاكلة، والتَّصريف عنده ضربان ضرب لغويُّ لا يدخل في البلاغة أمَّا الثَّاني فيدخل في البلاغة وهو ما يشيع في تكرار القصَّة القرآنيَّة كقصَّة موسى، هذا تكرار، والتِّكرار من ضروب الأطناب في علم المعاني، والتَّضمين عنده وجهين مايدلُّ على الكلام دلالة إخبار، هذه دلالة لغوية لا تدخل في البلاغة، ودلالة ضمنية كدلالة البسملة على تعظيم الله والتضمَّين عند أصحاب البلاغة استعارة الشاعر آية أو أبيات شعريَّة أو أنصافها.(ضيف، 2002م)

ويرى الباحث أنَّ حديث الرُّمَّانيُّ عن هذه الأوجه البلاغيَّة إضافة حقيقيَّة البلاغة فقد أضاف إضافات مقدَّرة إلى بعض فنونها كالتَّشبيه والاستعارة والإيجاز وغيرها.

خامسًا: الباقلَّانيَّ وإعجاز القرآن:

"يعدُّ أبو بكر محمد بن الطَّيِّب الباقلَّانيَّ المتوفى سنة 403هـ علمًا من أعلام المتكلِّمين على المذهب الأشعريّ، وواحد ممن نصَّبوا أنفسهم للحجاج والمجادلة وردِّ طعنات المخالفين والمعارضين، والدِّفاع عن عقيدة المسلمين. وكان الحديث عن إعجاز القرآن شغله الشَّاغل، فهو يشير إلى أنَّ الجاحظ صنف في نظمه كتابًا لم يزد فيه على ما قاله المتكلِّمين قبله، ومن كتبه الَّتي بحث فيها أمر الإعجاز كتاب "التَّمهيد" وله أيضًا كتاب الانتصار لصحَّة نقل القرآن، والرَّدَّ على نحلة الفساد بزيادة أو نقصان".(الباقلَّانيَّ، 2008)

وأهمُّ كتبه هو إعجاز القرآن وهو يستهله بالتَّعرض لمطاعن الملاحدة على أسلوب الذِّكر الحكيم مبينًا أنّ الحاجة إلى الحديث في إعجاز القرآن أمس من الحاجة إلى المباحث اللُّغويَّة والنَّحويَّة، وقد جعل أوَّل فصل في كتابه لبيان أنَّ القرآن معجزة الرَّسول- صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهي معجزة تقوم على بلاغته، ويستشهد بأي من الذِّكر الحكيم، ويفتح فصلًا ثانيًا يتم فيه الفصل الأوَّل وما ساق فيه من حجج على إعجاز القرآن.(ضيف، 2002م)

ويفتح فصلًا لبيان وجوه الإعجاز القرآنيَّ في رأيه ورأي الأشاعرة من أصحابه، ويجمل نظريته في إعجاز القرآن البلاغيَّ فيقول: "إنَّه بديع النَّظم عجيب التَّأليف متناه في البلاغة إلى الحدَ الَّذي يعلم عجز الخلق".(ضيف، 2002م) وهو يتأثر في الشَّطر الأول من نظريته بفكرة الجاحظ الَّتي ذهب فيها إلى أن مرجع الإعجاز في القرآن إلى نظمه وأسلوبه العجيب المباين لأساليب العرب في الشَّعر والنَّثر وما ينطوي فيه من سجع، أمَّا في الشَّطر الثَّاني من نظريته فقد تأثَّر بفكرة الرُّمَّانيّ الَّتي تقدَّم ذكرها والَّتي ذهب فيها إلى أنَّ القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة.(ضيف، 2002م)

وعقد فصلًا لنفي الشَّعر من القرآن الكريم، وتلاه بفصل عن نفي السَّجع عنه. وعقب ذلك عقد فصل لوجوه البديع وهل يمكن تعليل الإعجاز البلاغيّ بها أو لا يمكن.(ضيف، 2002م)

وأفتتح هذا الفصل بالحديث عن الاستعارة مثله في ذلك مثل ابن المعتز في كتابه "البديع" وأبي هلال العسكري في كتابه "الصَّناعتين" ويتلوها بالأرداف، ثمَّ المماثلة وهو في المصطلح الأخير يتَّفق مع أبي هلال في لقبه، بينما يختلف مع قدامة إذ كان يسميه التَّمثيل دالًا به على الاستعارة التَّمثيلية وبعض صور الكناية ويذكر المطابقة ويصرح هنا بنقله عن ابن المعتز، ويتحدَّث عن الجناس ويذكر فرق ما بين ابن المعتز وقدامة في معناه، ويذكر ضربًا يسميه "الموازنة" كقول القائل:

اصبر على حرِّ اللِّقاء ومضض النِّزال ** وشدَّة المصَّاع ومداومة المراس

فلو قال: على حرِّ الحرب، ومضض المنازلة، لبطل رونق التوازن وذهب حسن التَّعادل، لأنَّ هذا كلُّه بوزن واحد في الحركة والسُّكون والزَّوائد. وبالتَّالي وهو ضرب من المزاوجة وتقطيع الكلام دون إحداث سجع عليه ثمَّ يذكر المساواة على أنَّها ضرب من البديع مقتديًا بقدامة في هذا الصَّنيع.(الباقلَّانيُّ، 2008)

ومضى الباقلّانيُّ متأثرًا بقدامة يذكر التَّكافؤ وقال إنَّه قريب من المطابقة مع أنَّ قدامة يريد به المطابقة نفسها وذكر عقب ذلك التَّعطف وهو نفس ما سماه قدامة باسم المطابق، وتحدَّث كأبي هلال عن السَّلب فنًا مستقلًا عن الطِّباق.

وذكر من البديع "الكناية والتَّعريض"، وتحدَّث عن الالتفات وصرَّح في فاتحة حديثه عنه بأنَّه ينقل عن رسالة لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكريّ خال أبي هلال وأستاذه، ويذكر أنَّ من أصحاب البديع من لا يعدُّ الاعتراض والرُّجوع من هذا الباب، ويعدُّ أيضًا التَّضمين فنًا من فنون البديع، وقد ألحقه المتأخرون بباب الإطناب في علم المعاني.(ضيف، 2002م)

ويذكر أيضًا الاستطراد من فنون البديع ويضرب له الكثير من الأمثلة، ويذكر من ضروب البديع الاستثناء، ويتضح من أمثلته لهذا الضَّرب أنَّه يقصد ما سمي عند المتأخرين بتأكيد المدح بما يشبه الذَّم. وبعد ذلك بقولهم إن: "وجوه البديع كثيرة جدًا فاقتصرنا على ذكر بعضها ونبهنا بذلك على ما لم نذكر كراهة التَّطويل.

ويتحدَّث عن كيفيَّة الوقوف على إعجاز القرآن، ويقول: "إنَّه لا يقف عليه إلا من عرف معرفة بينه وجوه البلاغة العربيَّة وتكونت له فيها ملكة يقيس بها الجودة والرَّداءة في الكلام بحيث يميِّز بين شاعر وشاعر ونمط كاتب وكاتب بحيث يعرف مراتب الكلام في الفصاحة، كأنَّه يردُّ المسألة إلى الذَّوق على تعبير أصناف الكلام.(الباقلّانيُّ، 2008)

وهو يرفض أن يعَّلل إعجاز القرآن بالأوجه البلاغيَّة الَّتي ذكرها فيقول: "وقد قدر مقدرون أنَّه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب الَّتي نقلناها، وأنَّ ذلك مما يمكن الاستدلال عليه، وليس كذلك عندنا؛ لأنَّ هذه الوجوه إذا وقع التَّنبيه عليها أمكن التَّوصل إليها بالتدريب والتَّعود والتَّصنع لها، وذلك كالشِّعر الَّذي عرف الإنسان طريقه وصحَّ منه العمل له، وأمكنه نظمه، والوجوه الَّتي تقول أنَّ إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها ليس ممَّا يقدر البشر على التَّصنع له والتَّوصل إليها بحال.(عبَّاس، 2008)

وهذا ما يهُمنا هنا في هذا المبحث الَّذي يتحدَّث عن قضيَّة الإعجاز ونشأة البلاغة ويمكن للباحث القول بانَّ الباقلّانيَّ فتح الباب للتأمل في أسرار نظم القرآن الَّتي تدلَّ النَّاس على ما يوصف به القرآن من إعجازه البلاغيَّ.

سادسًا: الخطَّابيُّ وبيان إعجاز القرآن

الإمام حمد بن إبراهيم السني الخطَّابيُّ، أبو سليمان ولد عام 319هـ وتوفي 388هـ فقيه لغوي محدِّث له مؤلفات منها "معالم اللِّسان" و "بيان إعجاز القرآن"، و "إصلاح غلط المحدَّثين" وبدأ الخطَّابيُّ رسالته بإثبات عجز العرب عن أنَّ يأتوا بمثل القرآن، وبيَّن أنَّ تلك القضيَّة مسلمة من مسلمات التَّاريخ، فالقرآن تحدَّى العرب أن يأتوا بسورة من مثله، وهمَّ أهل الفصاحة والبلاغة والرِّسالة في الكلام والقول وأصحاب القصائد والخطب، لكنَّهم تركوا ذلك كلَّه وهو الأيسر لهم والأسهل عليهم، وعمدوا إلى ما هو أشدُّ وأصعب عليهم، وهم المنازلة والمحاربة.(الخطَّابيُّ، وآخرون، 2012)

ويرى أنَّ زعم بعض العلماء أنَّ إعجاز القرآن من جهة بلاغته، ولكنَّ أصحاب هذا القول يعرض لهم الإشكال في تحديد كيفيتها، ووضع ضوابطها، لذا وجه عامَّة أهل المقالة قد جرت عادتهم في تسليم هذه الصِّفة للقرآن على نوع من التَّقلد وضرب من عليه الظَّنَّ دون التَّحقق به وإحاطة العلم به، وذلك إذا سئلوا عن هذه البلاغة – يقصد بلاغة القرآن – وعن المعنى الَّذي يتميَّز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا أنَّه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر تعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام.(الخطَّابيُّ، وآخرون، 2012)

ويقول إنَّهم يرون أنَّه يخفي سببه عند البحث ويظهر أثره في النَّفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به، وهو يرى أن هذا لا يقع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، إنَّما هو إشكال أحيل به على إبهام.(عبَّاس، 2008)

إذن هم في رأيه يرجعون البلاغة إلى الذَّوق وحده دون أن تكون له واعد وضوابط وأسس، والذَّوق وحده لا يصلح لتبنى عليه هذه القضيَّة؛ أي قضيَّة الإعجاز.(عمَّار،1997م)

"ثمَّ أخذ الخطَّابيُّ في الكلام عن بلاغة القرآن على طريقته، وحسب فهمه، فذكر أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة البيان متفاوتة، ودرجتها في البلاغة متباينة غير متساوية، فمنها البليغ الرَّصين الجزل، ومنها الغريب السَّهل، ومنها الجائز الطَّلق الرَّسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود، دون النوع الهجين المذموم الَّذي لا يوجد في القرآن البتَّة.(الخطَّابيُّ، وآخرون، 2012)

ويرى أنَّ القسم الأوَّل أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثَّاني أوسطه وأقصده، والقسم الثَّالث: أدناه وأقربه، كما يرى إنَّ بلاغات القرآن قد حازت من كل قسم من هذه الأقسام حفنة فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي العذوبة والجزالة، والعذوبة والسهولة والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع ثبوت كل واحد منهما على الآخر فضيلة خصَّ بها القرآن.(عبَّاس، 2008)

ويرى الخطَّابيُّ أنَّ العرب إنَّما عجزت عن الإتيان بمثل القرآن لعدة أسباب:

أولها: هو أنهم لم يحيطوا بجميع ألفاظ اللُّغة مفردات وتراكيب.

ثانيها: أنَّ أفهامهم لا تدرك جميع المعاني الَّتي تحمل عليها تلك الألفاظ.

ثالثها: ليس لهم معرفة تامَّة بجميع أنواع النَّظم، والنَّظم تركيب الكلمات في الوضع بحيث تكون كل لفظة في محلها اللائق لها الخاص بها، وهذه الأمور الثَّلاثة وهي: اللَّفظ والمعني، والنَّظم هي الَّتي يقوم بها الكلام، ويعبَّر

بها مستأهلًا للبحث، حقيقاً بالعناية، وبهذا يرى الخطَّابيُّ إنَّ الكلام لابدَّ له من عناصر ثلاثة:

1. لفظ حامل.
2. معنى قائم.
3. رباك لهما ناظم.

إذن الكلام عند الخطَّابيّ ليس لفظ ومعنى فحسب وإنما لابد لهما من نظم.(الخطَّابيُّ، وآخرون، 2012)

ويرى الخطَّابيُّ أنَّ عمود البلاغة الَّتي تجمع لها هذه الصِّفات هو وضع كلّ نوع من الألفاظ الَّتي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأحصَّ الأشكل به، الَّذي يكون معه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرَّونق الَّذي يكون معه سقوط البلاغة.(الخطَّابيُّ، وآخرون، 2012)

ومن المسائل البلاغيَّة الَّتي تحدَّث عنها الخطَّابيُّ: تهذيب الألفاظ وإخضاعها للسَّياق ومقتضى الحال، ثمَّ تحدَّث في معرض حديثه عن مطاعن الملاحدة، فهو يقول أمَّا ما عابوه من الحذف والاختصار في بعض الآيات فإن الإيجاز في موضعه وحذف ما يستغني عنه نوع من أنواع البلاغة، وإنما يجوز الحذف ويحسن إذا كان المذكور يدلّ على المحذوف، ويرى أنَّ الحذف أبلغ من الذِّكر، لأنَّ النَّفس تذهب فيه كل مذهب.(عبَّاس، 2008)

"ومما سبق يتضح أنَّ رسالة الخطَّابيّ غلب عليها سهولة العبارة ويسر الأسلوب، بخلاف رسالة الرماني كما أن رسالة الخطَّابيَّ ألصق بموضوع الإعجاز أما رسالة الرماني فقد كانت ألصق بعلوم البلاغة، ولقد أدت كل من الرسالَّتين رسالتها، فكانتا أصلًا بني عليه – فيما بعد – فكانت رسالة الرماني أصلًا لعلماء البلاغة وكانت رسالة الخطَّابيّ أصلاً لنظرية الإعجاز والنقد".(عبَّاس، 2008)

ويرى الباحث أن رسالة الخطَّابيّ كان معظمها ردًا على الملحدين، ومن هنا يمكن القول بأنّها رسالة حجاجية في المقام الأوّل، فلم يتفرغ فيها لقضيَّة النَّظم ولو تفرغ لها بلغ مبلغًا لا يقلُّ عن الجرجاني الَّذي اشتهر بها.

الخاتمة:

ومما سبق يتبين للباحث الدَّور العظيم الَّذي قام به العلماء الَّذين تحدَّثوا في قضيَّة الإعجاز القرآني، أي دورهم في نشأة وتطوَّر فنون البلاغة المختلفة إذ كانت جهودهم بحوثاً قيمة لها عظيم الأثر في بناء صرح البلاغة العربيَّة، إذ طوَّر العلماء اللاحقون هذه الأصول لتنتظم في أبواب البلاغة المختلفة.

النتائج:

بعد أن أبحرنا في قضيَّة الإعجاز القرآني ونشأة البلاغة توصلنا إلى عدد من النتائج لعل من أهمها:

1. إن الباحثين الَّذين درسوا علوم اللُّغة في القرن الثالث الهجري كام هدفهم خدمة القرآن الكريم دراسة وفقهًا وتفسيرًا.
2. اتّجه العلماء إلى دراسة الإعجاز وتحليله لغويًا وعلميًا نتيجة لفقدان الملكة اللُّغويَّة الفطريَّة الَّتي كانت عند العرب زمن نزول القرآن، وكذلك نتيجة لاعتراض بعض النِّحل الأيدلوجيَّة على القرآن وبلاغته.
3. كان كتاب أبو عبيدة من البدايات الأولى لظهور البلاغة العربيَّة كعلم وفنٍّ له أصوله، وكذلك من الدِّراسات الأولى الَّتي دارت حول القرآن الكريم وتوضيح أساليبه.
4. يعدَّ الفراء من أوائل العلماء الَّذين ابتدروا الحديث عن القرآن الكريم وبيان معانيه وأساليبه، ومن الأساليب الَّتي تحدَّث عنها الإيجاز، والاطناب، والكتابة، وغيرها من الأساليب البلاغيَّة.
5. تُعدُّ جهود ابن قتيبة البلاغيَّة بحوث قيَّمة لها الأثر العظيم في بناء صرح البلاغة العربيَّة، والدِّفاع عن إعجاز القرآن وردَّ مطاعن الطاعنين؛ وهذا ما يدلّ دلالة واضحة أن الإعجاز قضيَّة حجاجية نشأة والتطوَّرت في كنف الحجاج الذي كان دائرًا بين الفرق الكلاميَّة.
6. إن حديث الرُّمَّانيّ عن الأوجه البلاغيَّة إضافة حقيقة للبلاغة؛ فقد أضاف إضافات مقدرة إلى بعض فنونها: كالتشبيه، والاستعارة، والإيجاز وغيرها.
7. إنَّ الباقلَّانيَّ فتح الباب للتَّأمل في أسرار نظم القرآن الَّتي تدلُّ الناس على ما يوصف به القرآن من إعجاز بلاغيّ.
8. كان للعلماء الَّذين تحدَّثوا في قضيَّة الإعجاز القرآنيّ دور عظيم في نشأة فنون البلاغة المختلفة وتطوَّرها.
9. أفادت البلاغة المنهجيَّة من مؤلفات الإعجاز؛ إذ كان فضل البلاغيين تحديد مفاهيم هذه المصطلحات التي كانت مبثوثة في كتب الإعجاز القرآني.

التوصيات:

أولًا: يوصي الباحث بدراسة كلّ عالم من العلماء الَّذين تحدَّثوا عن الإعجاز والدِّراسات القرآنية – سابقي الذكر- دراسة منفردة، بالتَّركيز على ما أضافه للبلاغة العربيَّة.

ثانيًا: يوصي الباحث بدراسة قضية الحجاج الذي كان دائر في صدر الدلة العباسيَّة والذي كان السَّبب المباشر في نشأة قضية الإعجاز والبتالي نشأة البلاغة العربية.

المصادر المراجع:

إبراهيم، محمد أبي الفضل، 1997م، ديوان امرئ القيس، ط4، ص158، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ابن خلدون، عبد الرَّحمن ابن محمَّد، تحقيق علي عبد الواحد وافي،(د:ت)المقدمة، ط1،ج 4، ص: 1255 – 1256،نشر وطبع لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر.

ابن خلكان، أحمد ابن محمد ابن إبراهيم تحقيق: محي الدين عطية، من طبقات وفيات الأعيان، ط1، ج5، 325، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر.

ابن قتيبة،عبد الله ابن مسلم، تحقيق: أحمد صقر،(د:ت)، تأويل مشكل القرآن ط1، ص:10،16،10مكتبة الأزهرية، المنصورة، مصر.

ابن منظور،جمال الدين الأنصاري محمد ابن أكرم، 1990م تحقيق: اليازجي،لسان العرب، ط1، مادة (بلغ)،دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن المثنى، أبو عبيدة، تحقيق محمد فؤاد ركين،، 1954م، مجاز القرآن، ط1،ص: ،8، 11، مكتبة الخانجي.

أبو علي، محمد بركات حمدي، 2000م، دراسات في الإعجاز البياني، ط1، ص 10، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، 2001م، تهذيب اللُّغة، ط2، مادة (عجز) منشروات الكتاب العربي ،.

سلطان، منير، (د:ت) إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ط1، ص73، 74، دار منشأة المعرفة، الإسكندرية، مصر.

عمار،أحمد سيد، 1997م،نظريَّة الإعجاز القرآني وأثرها في النَّقد العربي القديم، ط2، ص 32 ،84، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

الخالديُّ،صلاح عبد الفتاح، 2001م، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ط1، ص 17، دار عمار، عمان، الأردن.71.

الباقلَّانيَّ،أبوبكر محمد ابن الطيب،2008م،إعجاز القرآن، ط2، ص: 30، 70-71، 78، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الخطَّابيَّ، الرماني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، 2012م، بيان إعجاز(ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)ط3، 75 ،34، 24 ،29، 29، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الرماني، الخطَّابيَّ، الجرجاني،تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، 2012،النكت في إعجاز القرآن (ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، ص: 80،76، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ضيف، شوقي،(د:ت)، البلاغة تطور وتاريخ، ط1، ص:30، 160،213،109،108، ،111، 112، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ضيف، شوقي، 2002م، معجزات القرآن، ط2، ص:208-210،209، 211، دار المعارف، القاهرة، مصر.

عامر،فتحي أحمد،1975م،بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، دراسة تاريخية فنية مقارنة، ط1، ص86، 87، 112- 113، دار النهضة العربيَّة، القاهرة مصر.

عباس، فضل حسن ، 2008م، إعجاز القرآن، ط1،، ص 67،68، 70،70 الشركة العربيَّة المتحدة، القاهرة، مصر.

عباس، فضل حسن، (د:ت) البلاغة المفتري عليها بين الأصالة والبدوية، ط2، ص 105، 116، دار الفرقان، عمان، الأردن.

عرفة، عبد العزيز المعطي، 1985م، قضيَّة الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربيَّة، ط1، ص: 323، 95، 89 ،100-101 ،218، 83 ،120 ، 137، 217، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

5/ عمر، خ، (1993م)، السياسة الخارجية السودانية إزاء المملكة العربية السعودية 1985م-1992م، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ص30.

6/ إبراهيم، ح، (يوليو1990م)، النظام الدولي في التسعينات رؤية أولية، مجلة السياسة الدولية، العدد101، ص89- 105.

7/ ضاهر، م، (2004/8/9م)، استراتيجية العلاقات والمشروع النهضوي، صحيفة الحياة اللندنية، العدد15109، ص13.